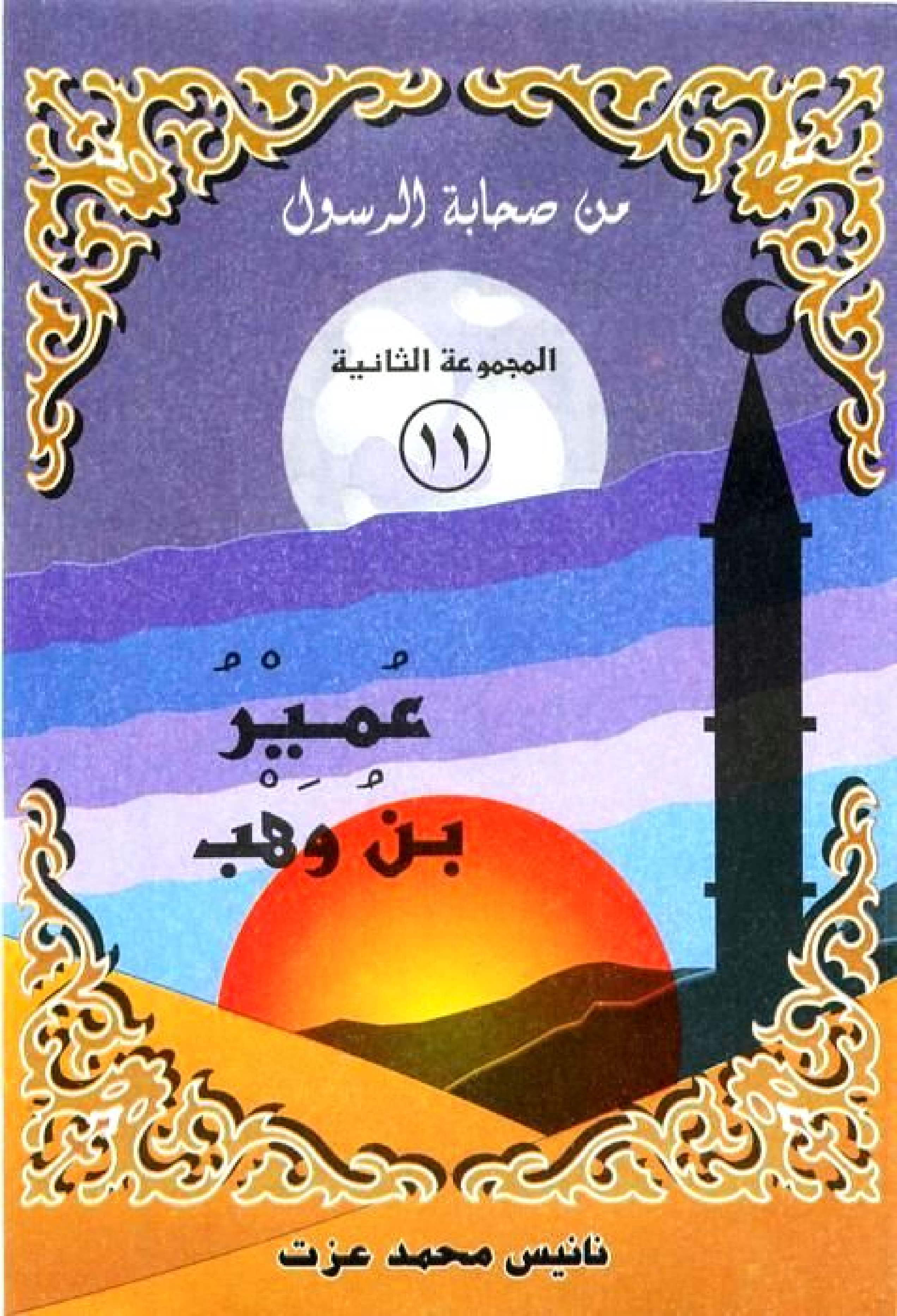


من صحابة الرسول
المجموعة الثانية
١١
عُمَيْر بنُ وَهْب
نانيس محمد عزت

عُميْرُ بنُ وَهْب

دعا الحاجُّ صالحٌ أحفادَه لتَمضيَةِ أُسبوعَيْن من إجازَةِ آخرِ السَّنةِ في مزرَعَتِه ، ففَرِحَ الأولادُ ولَبّوا دَعوَةَ جَدِّهم ، فالمَزْرَعَةُ واسِعَة ، ومكانٌ مُناسِبٌ للجَريِ واللَّعِب ، فضلاً عن أنَّها فُرصَةٌ طَيِّبَةٌ لالْتِقائِهم بأبْناءِ عُمومَتِهم ، واللَّعبِ معهُم .

واختارَ الأولادُ الحديقَةَ الخلفِيَّةَ لمنزِلِ المَزرَعَة ، لتكونَ مكانَ تَجمُّعِهم ولَعِبِهم . ولكنَّهُم للأسَفِ لم يَهتمُّوا بنَظافَةِ الحَديقَةِ ونِظامِها ، فقَطعوا الأَزْهار ، وكَسَّروا فُروعَ الأشْجار ، وبَعثَروا الأوراقَ المُهمَلَةَ على أَرضِ الحَديقَة .

وعِندما حَضَرَ جَدُّهم ، ودخلَ الحديقَةَ الخلفِيَّةَ للمَنزِل ، ساءَهُ ما لَحِقَ بالحَديقَةِ من إهْمال وقَذارَة ، فغَضِبَ من أَحفادِهِ وقال لَهُم : ما هذه الفَوْضَى ؟ لقد

أفْسدتُم حَديقَتى الجَميلَة . وأنا مُستاءٌ منكم ومن تَصرُّفِكُم السَّيِّءِ فيها .

خَجِلَ الأولادُ من أنفُسِهم وقالوا : نحنُ آسِفُونَ على ما فَعَلنا يا جَدَّنا العَزيز .

قالَ جَدُّهُم : أنتم مُطالَبونَ بتَنظيفِ المَكان ، وإعادَتِهِ كما كان .

فبعدَ أن جَمَعَ الأَولادُ القاذوراتِ والأَوْراقَ المُهمَلَة ، قالَ لهم جَدُّهم : والآنَ ﴿ أتبعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُها ﴾ كما قالَ اللهُ تَعالى . اِذهَبوا إلى المَشتَلِ المُجاوِر ، واشْتَروا مِنه شَتَلاتِ الأَزْهار ، لِتُعيدوا غَرسَ ما قَطَفْتُموهُ مِنها ، واحْذَوْا حَذْوَ الصَّحابِيِّ الجَليلِ عُمَيْرِ بنِ وَهبْ .

سألَ مَمْدوح : ومن هو عُمَيْرُ بنُ وَهبٍ يا جَدّى ؟

قالَ جَدُّه : هو أحدُ صَحابَةِ الرَّسول ـ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسلَّم ـ الّذى ما أن أعلنَ إسْلامَه ، حتّى أقسمَ ألاّ

يدَعَ مَكانًا آذى فيه الرَّسول ـ صلّى اللّهُ عَليهِ وسلّم ـ أو أَحدًا من أصْحابه ـ قبلَ إسْلامِهِ ـ إلاّ ويذكُرُ فيه اللّه ، ويَدعو فيهِ لِعبادَتِه سُبحانَهُ وتَعالى .

قالتْ سَلمَى : هل لكَ يا جَدّى أن تَحكِيَ لنا قِصَّته ؟

قالَ جَدُّها : إنَّ قِصَّتَهُ مُسلّيَةٌ ومُفيدَة ، تَعالَوا بِنا إلى ظلِّ هذه الشَّجَرَة ، وأنا أحْكيها لَكُم .

وعِندَما بَدأ يَحكى قِصَّةَ عُميْرِ بنِ وَهب ، قال :

ـ كانَ عُمَيْرُ بنُ وَهبٍ قبلَ إسْلامِه ، داهِيَةً مُؤذِيا . تَفنَّنَ فى تَعذيبِ المُسلِمينَ الأوائِل ، حتّى سَمَّوهُ « شَيطانَ الجاهِلِيَّة » .

ويومَ بَدر ، كانَ هو عيْنَ قُرَيْشٍ الّذى أرْسَلوهُ لِيَستَطلِعَ لهم عدَدَ المُسلِمينَ ومَبلغَ قُوّتِهم . وبذكائِهِ الفِطريِّ وقُوَّةِ بَصيرَته ، عادَ وأخبَرَهُم بعَدَدِ المُسلِمينَ فَقال : إنّهُم ثلاثُمِائَةِ رَجُل ، يَزيدونَ أو يَنقُصونَ قَليلا .

وكانَ حَدسُهُ صَحيحا .

واستَطرَدَ فقال : ولكِنّي يا مَعشرَ قُرَيشٍ رأيْتُ المطايا تَحمِلُ المَوتَ النّاقِع .. قومٌ ليس معَهم منَعةٌ ولا مَلجأٌ إلاّ سُيوفُهم ، واللّهِ ما أرَى أن يُقتَلَ رجُلٌ مِنْهم حتّى يَقتُلَ رجُلاً مِنكُم ، فانظُروا رأيَكم .

وكادَتْ كلِماتُهُ أن تُؤثّرَ في زُعماءِ قُريشٍ ويَعودوا أدراجَهُم ، لولا أبو جَهلٍ الّذي أصَرَّ على المُضِيِّ في الحَرب ، وكان من نَتيجَةِ إصْرارِه ، أن كانَ هو نَفسُهُ أوّلَ ضَحاياها .

هذا وقد وَقعَ ابنٌ من أبناءِ عُمَيْرِ بنِ وَهبٍ في أَسْرِ المُسلِمين .

فقالَ أحمد : إنّ غَزوةَ بَدرٍ كانتْ لقُرَيشٍ وزُعمائِهم بمَثابَةِ الطّامَةِ الكُبْرَى ، فلمْ يَكنْ ليَخطُرَ على بالِهم أنّ هؤلاءِ العَبيدَ الضُّعَفاءَ الّذين خَرجوا بالأمسِ القَريبِ من دِيارِهم ، قادِرونَ على إلْحاقِ الهَزيمَةِ بهِم .

وأمَّنَ جَدُّه على كَلامِ أحْمَدَ فقال : صَدقتَ يا أَحْمَد ، وكانتْ آثارُ غَزوَةِ بَدْرٍ النَّفسِيَّة ، أشَدَّ على قُرَيشٍ من آثارِها المَلموسَة ، فأصبَحَ لأَكثرِ سادَةِ قُرَيشٍ ثأْرٌ عند مُحمَّد ، فمِنهُم من قُتِلَ له أبٌ أو أَخ ، أو خالٌ أو عمّ .

وذاتَ يومٍ وعُميْرٌ يَطوفُ بالكَعبَة ، إذ قابلَ ابنَ عَمِّهِ وصَديقَهُ الحَميمَ صَفْوانَ بنَ أُمَيَّة ، وجلَس الاثْنانِ يَتَذكَّرانِ بَدرًا وفَجيعَتَهُما فيها ، فلِعُمَيرٍ ابنٌ أسيرٌ عندَ مُحمَّد ، وفَقدَ صَفْوانُ أباهُ فى مَعركَةِ بَدر .

قالَ عُمَير : واللّهِ لولا دَيْنٌ عَلَيَّ لا أملِكُ قَضاءَه ، وعِيالٌ أخْشَى عَليهِم الضَّيعَةَ بَعدى ، لرَكِبتُ إلى مُحمَّدٍ حتَّى أقْتُلَه . فإنَّ لى عِندَه عِلَّةً أعتَلُّ بِها عَلَيه . أقولُ له قَدِمتُ من أجلِ ابْنى هذا الأَسيرِ عِندَك .

التقَطَ صَفوانُ كلِماتِ عُمَير ، فقالَ له مُشجِّعا : عَلَيَّ دَيْنُكَ أَقضيهِ عَنك ، وعِيالُكَ مع عِيالى أُواسيهم

ما بَقوا .

قالَ له عُمَيْر : إذنْ فاكتُم شَأنى وشَأنَك .

هنا قالَ مَمدوحٌ غَضبانَ أَسِفا : يا لَهُما مـن نَذْلَيْـن ، أسْلَما آذانَهُما وعَقلَيْهِما للشَّيطان ، فتبًّا لَهُما !

هدَّأَ الجَدُّ مَمدوحًا فقال : لا تَغضَب يا وَلَدى ، فاللّـهُ ــ تبـارَكَ وتَعـالَى ــ فـاضِحٌ أمْرَهُمـا وكاشِـفٌ سِـرَّهُما لِرَسوله .

تعجَّبت سلْمَى وسـأَلت جدَّهـا : أحـقٌّ هَـذا ؟ كيـفَ ذلك يا جَدّى ؟

قـال جَدُّهـا : أمَـرَ عُمَـيرٌ بسَيْفِهِ فشُحِذَ لـه وسُـمّ ، ومضَى به إلى المَدينَة .

وفى المَدينَةِ رآهُ عُمرُ بنُ الخَطّاب ــ رَضِيَ اللّهُ عَنه ــ وخَشِيَ منه علَى الرَّسول ــ صلَّى اللّهُ عَليهِ وسـلَّم ــ ، ولكِنَّ الرَّسولَ أدْناهُ مِنهُ وسأَلهُ عَمّا جاءَ به .

مَكرَ عُميرٌ وقال : إنّه جاءَ فى طلبِ ابنِه الأَسيرِ الّذى فى أيْدى المُسلِمين .

وعندَما سألَهُ الرَّسولُ عنِ السَّيفِ الّذِى فى عُنُقِه ، قال : قَبَحها اللّهُ من سُيوف ! وهلْ أَغنَتْ عنّا شيْئا ؟

هُنالِكَ أخبَرَهُ الرَّسول — صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم — بأمْرِ اتّفاقِهِ مع صَفوانَ فقال : بل قَعدْتَ أنتَ وصَفوانُ بنُ أُميَّةَ فى الحِجر ، فذَكرتُما أصْحابَ القَليب — حيثُ دُفِنَ قَتلَى بَدرٍ من قُرَيْش — فقُلت : لَولا دَيْنٌ علَىَّ وعِيالٌ عِندى ، لخَرجتُ حتّى أقتُلَ مُحمَّدا . فتحمَّلَ صَفوانُ بدَينِكَ وعِيالِكَ علَى أن تَقتُلَنى له ، واللّهُ حائِلٌ بَينَكَ وبينَ ذَلِك .

ذُهِلَ عُميرٌ لحَديثِ الرَّسول — صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم — فالأمرُ كُلُّه كانَ سِرًّا بَينَهُ وبينَ صَفْوان ، فَأَيقَنَ بصِدقِ نُبوَّةِ مُحمَّد ، وصِدقِ وَحْيِ اللّهِ إلَيْه . فَقالَ من فَورِه : أشهَدُ إنّكَ لرَسولُ اللّهِ حقّا . فقد كُنّا يا رَسولَ اللّهِ

نُكذِّبُكَ فيما كنتَ تأتينا بهِ مِنْ خَبَرِ السَّماء ، وما يَنزِلُ عَليكَ منَ الوَحْي ، ولكن خَبَرى معَ صَفوانَ بنِ أُميَّة ، لم يَعلَم به أحَدٌ إلاّ أنا وهُوَ . ووَاللّهِ لقد أيْقَنْتُ الآن أنّهُ ما أَتاك بِهِ إلاّ اللّه . فالحمدُ لِلّهِ الّذى ساقَنى إلَيكَ سَوْقًا لَيهدِيَنى إلى الإِسْلام .

فقالَ صلّى اللّهُ عَليهِ وسلَّمَ لمنْ حَولَه : فَقّهوا أخاكُم فى دينِه ، وعلّموهُ القُرآن ، وأَطلِقوا سَراحَ أَسِيرَهُ .

قالَ حازِم : لقدْ لَمَس عُمَيرٌ إحْدَى مُعجِزاتِ الرَّسول - صلّى اللّهُ عَليهِ وسلّم - وعايَشَها ، ممّا كانَ لها الأَثَرُ فى إسْلامِه .

قالَ جَدُّه : وما أن أَسلَمَ عُمَير ، حتّى تحوَّلَ من شَيطان فى الجاهِليَّةِ إلى حَوارِيٍّ فى الإسْلام ، فنَذرَ حياتَهُ كُلّها لدِراسَةِ القُرآن ، والتّعلُّمِ والتّفقُّهِ فى الدّين ، حتى نسِيَ مكّةَ ومن فى مكّةَ جَميعا .

قالتْ سَلْمَى : هَـذا صَحيحٌ يا جَدّى . وماذا عنْ صَفوانَ بنِ أُميَّة ، فقد كان يتوقّعُ من عُميرٍ تَنفيذَ اتّفاقِهما ؟

تبسَّمَ جَدُّها وقال : فِعلاً يا سَلْمى . كانَ صَفوانُ موقِنًا أشَدَّ اليَقينِ منْ تَنفيذِ عُمَيْرٍ لخطّتِهِما . فكانَ يَمشى فى رُبوعِ مكّةَ فَرِحًا مُختالا ، مُبشّرًا سادَتَها بقَولِه : أَبشِروا بنَبأٍ عَظيم ، يَأتيكُم قَريبًا فيُنسيكُم وَقعَةَ بَدر .

وتأخّرتِ البِشارَةُ الّتى انتَظرها صَفوانُ طَويلا ، فبَدأَ يُساوِرُهُ القَلَق ، ويَسألُ القادِمينَ من المَدينَة : هل حَدثَ فيها خَطبٌ جَليل ؟ إلى أن جاءَهُ الرَّدُّ بالإيجاب . وعندَما سألَ عن الحَدَثِ ما هو ؟ كانَ الجَوابُ أنَّ عُميرَ بنَ وَهبٍ قَد أسْلَم ، ويَتفقّهُ الآنَ فى الدّين .

وأصيبَ صَفوانُ بنُ أميّةَ بخَيبَةِ أَملٍ عُظْمَى .

فضَحِكَ الأوْلادُ مَسرورين . وأكمـلَ جدُّهـمُ القِصَّـةَ فقال : ونعودُ لعُمَيرٍ فى المَدينَـة ، لِنرَى أنـه عِندَما أتَـمَّ حِفظَ القُرآنِ ودِراسَتَه ، وتَفقَّهَ فى الدّين ، عزَمَ على أن يَخدُمَ الدّينَ بقَدرِ ما حارَبَه ، وأن يَدعُوَ إلَيه بقدرِ مـا دَعـا ضِدَّه ، فقالَ لرَسولِ اللَّه ـ صلَّـى اللَّـهُ عَليـهِ وسـلَّم ـ : يا رَسولَ اللَّهِ إنى كنـتُ جاهِدًا فى إطْفاءِ نـورِ اللَّـه ، شديدَ الأَذَى لمن كانَ على دينِ اللَّهِ عزَّ وجَـلَّ . فـأُحِبُّ الآنَ أن تَأذَنَ لى بأن أذهَبَ إلى مكّة ، فأدْعُوَهُم إلَى اللَّهِ تَعالَى وإلَى رَسولِه وإلَى الإسْلام ، لعـلَّ اللَّـهَ يَهديهـم ، وإلاَّ آذَيْتُهُم فى دينِهِم كما كنـتُ أوذى أصْحـابَكَ فـى دينِهِم .

وعادَ عُمَيْرٌ إلى مَكّةَ يدعو لدينِ اللَّه ، ويُشـهِرُ سَيفَه فـى وَجـهِ كـلِّ مـن يَقـفُ فـى طَريقِـه . وصَـدقَ وعـدَهُ لرَسولِ اللَّه ـ صلَّى اللَّهُ عَليهِ وسلَّم ـ فمـا تَـركَ مَكانًـا آذَى فيه الـمُسلِمين ، إلاَّ ودَعا فيهِ للَّهِ وللإسْلام .

فكانَ منهَجُهُ الّـذى سـارَ عليـهِ فـى الإسْـلام : واللّـهِ لا أَدَعُ مَكانًا جَلســتُ فيـه بـالكُفر ، إلاّ وجَلســتُ فيـه بالإيمان .

ولَقيَهُ صَفوان ، الّذى ما أنْ رآهُ حتى همَّ بمُهاجَمَتِه ، ولكنَّ سَيفَ عُميْرٍ المُشهَر ، أوقَفَه عنـدَ حَـدِّه . فـاكتَفى صَفوانُ بأنْ ألقَى علـى سَـمعِهِ سَيْلاً مـن الشّـتائم ، ثـمَّ مَضَى لحالِه .

واسْتطاعَ حوارِيُّ الإسْلامِ عُمَيْرُ بنُ وَهب ، أن يُقنِـعَ الكَثيرينَ بالإسْلام ، فكُتِبَتْ لهمُ الهِدايَةُ على يَـدِ عُمَـير ، الّذى عادَ إلَى المَدينَةِ فى مَوكِبٍ من أهْلِ مَكّة ، يُكبِّرونَ ويُهَلّلون ، فَرِحينَ بإسْلامِهِم ، وبلِقـاءِ الرَّسـولِ الكَريـم - صلّى اللّهُ عَليهِ وسلّم - .

قال أحْمَد : صَدقتَ يا جَدّى ، فعُميْرٌ مِثـالٌ يُحتَـذَى فى إتْباعِ السَّيِّئَةِ الحَسَنةَ تَمحُها ، فها هو يُكفِّرُ عن صَدِّهِ

عن سَبيلِ اللّه وعن شِركِه ، بالدَّعوةِ إلَى الدّين ، فكـان سَبَبًا فى دُخولِ الكَثيرينَ من أَهْلِ مكّةَ فى الإِسْلام .

وسألتْ سَلمَى : ولكن كيفَ تحوّلَ عُمَيْرٌ منَ النّقيض إلَى النّقيض ، وكيفَ تحوَّلَ من شَيطانٍ فـى الجاهِليَّـةِ إلى حَوارِيٍّ فى الإسْلام ؟

قالَ جَدُّها : إنّه نورُ الإسلام .. نورُ القُرآنِ يـا بُنَيّتـى الّذى ما إنْ يَدخلُ القَلبَ إلاّ ويُنيرُه .

وكتبَ اللّه للمُسلمينَ الفتحَ الأَعظم ، ودَخلوا مكّـةَ مُنتَصريـنَ يُكبِّرونَ ويُهلّلـون . دَخلوهـا بـدونِ قِتـال ، أقوياءَ أعزّاءَ بعدَ أن خَرجـوا مِنهـا مُستَخفينَ يَتسـلّلونَ تَحتَ جُنحِ الظّـلام . وعـزَّ علـى عُمَيرٍ أن يَترُكَ قَريبَـهُ وصَديقَهُ صفوانَ بنَ أُميَّةَ فَريسـةً للشَّيطان . هـذا وقـد هَربَ صَفوانُ إلى جَدّةَ ليُبحِرَ مِنهـا إلى اليَمَـن ، فذهَـبَ عُميرٌ إلى رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عَليهِ وسلّم ـ يطلـبُ

منهُ الأَمانَ لِصَفْوان ، فأمَّنهُ الرَّسولُ وأعطاهُ عِمامَتَهُ الَّتى دخلَ بِها مَكّة ، لتكونَ آيةً لِصَفْوانَ يَعرِفُ بِها أَمانَه .

وعادَ صَفوانُ إِلَى المَدينَة ، وطلبَ شَهرَيْنِ مُهْلَةً للخِيارِ جَعَلَها - صلّى اللّهُ عَليهِ وسلّم - أربعةَ أشْهُر ، فَكانت فُرصَةً لصَفْوانَ راجعَ فيها نَفسَه ، وعادَ فيها إِلَى صَوابِه فأعلَنَ إِسْلامَه .

قالَ أحمد : إنَّ عُمَيرًا صَديقٌ وَفِيّ ، لَمْ يَشأ أن يُتْرُكَ قَرِيبَهُ وصَديقَهُ فى الظُّلُمات ، وأصَرَّ علَى أن يَصِلَ بِهِ إِلَى بَرِّ الأَمان .

قال جدُّه : إنَّها - كما قلتُ لكم يا أَحفادى - أخلاقُ الإِسْلامِ الَّتى تَشَبَّع بها عُمَيْر . ولا تَنسَوا أنَّهُ كانَ سَبَبًا فى إِسْلامِ الكَثيرينَ من الكُفّار .

قالَ حازِم : نَشكُركَ يا جَدّنا العَزيزَ على قِصَّتِك الشّائِقَة المُفيدَة .

وقـالَ مَمـدوح : هَيّـا يـا أَوْلاد .. هيّـا لَنُتبـعَ السَّـيِّئةَ الحسنةَ تَمحُهـا .. وتَعـالَوا لنُصلِـحَ مـا أفْسَـدناهُ لتكـونَ الحَديقَةُ أجمَلَ مِمّا كانت .

قالَ جدُّهم : هل تُريدونَ أن أُساعِدَكُم ؟

فرِحَ الأولادُ وقالوا : بالطَّبعِ نُريد . فنحـنُ نُحِـبُّ أن تُساعِدَنا ، كما نُحبُّـكَ ونُحـبُّ أن نكـونَ دائِمًـا مَعًـا . فَهَيّا لنُحضِرَ الشَّتَلاتِ ونَبدأَ الزِّرَاعَةَ فى الحال .